تصدير

مؤتمر الإسلام والإصلاح الاجتماعى

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ الجليل محمد العشماوى بك

نائب رئيس الرابطة والمستشار الملكى لوزارتى الأشغال والشئون الاجتماعية

لم يكن اختيار الرابطة لموضوع هذا المؤتمر "الإسلام والإصلاح الاجتماعى" من عفو الخاطر، ولا وليد الصدفة، ولا يقصد الدعية عن طريق اختيار موضوع له من شرف العنوان وطرافة البحوث ما يستثير الإعجاب ويجتذب الهتاف، ولم نقصد من تقليب صفحات ذلك المجد التالد ومن عرض مجموعة مختارة من تلك الدرر الغوالى التى حواها ذلك التراث العظيم إلى مجرد الزهو بماضينا والتأسى فى حاضرنا. ولكنا قصدنا إلى ما هو أجل خطرا وأبعد فى حياتنا أثرا. قصدنا الى أن نرسل قبسا من نور الإسلام فى صفاء جوهره وروعة مبادئه لينير لنا طريق الإصلاح الاجتماعى الذى ندأب نرسم خطاه ونضع برامجه ونحدد غايته.

أردنا أن نذكر من له علم بهذه المبادئ القويمة من المصلحين والداعين للإصلاح أن يتخذوها سندا فى عملهم وهدفا فى دعوتهم، وأن يعلم من لا علم له بها قدر ما فى تراثنا الإسلامى من ذخيرة ثمينة أوفت على حاجة المصلحين فى بحر الإسلام، ومكنتهم من أن يقيموا على أساسها دولة عزيزة الجانب، رحيمة مصلحة عادلة، نعم فى كنفها المستظلون بظلها وعاشوا عيشة التواد والتراحم والتضامن والتآخى والمساواة، ودانت لها أمم كانت أعظم منها قوة وأوسع علما وأوفر مالا. أردنا أن نستعين بمبادئ الاسلام فى العمل على تسديد الخطى وحفز الهمم وتقوية الروح، أردنا أن نبين للذين فتنتهم الحضارة الحاضرة والمدنية القائمة ومن استهوتهم النظريات الحديثة فى طرائق الحكم وطرائق التفكير وطرائق التشريع ونظم الاجتماع أن الاسلام قد فرغ من ذلك كله منذ أربعة عشر قرنا فوضع أساس الاصلاح الاجتماعى: إصلاح الفرد وإصلاح الجماعات وإصلاح الدولة، وأقام دعامة الخلق القويم ووثق الروابط ونظم المعاملات على قواعد من الأمانة والثقة ويقظة الضمير الحى، ووضع الضوابط للحياة العامة والخاصة، وأحكمها على وجه يلائم بينها وبين تطور الزمن وأحداثه واختلاف البيئات وتنوع مطالبها، ورسم حدود الحلال والحرام على وجه يترك للنشاط الفرد والجماعات والدولة

ميادين فسيحة للعمل والابتكار ومسايرة تطور الحياة وملاحقة العلم الى أبعد غاياته فى نطاق من السلامة : سلامة العقول وسلامة الأبدان وسلامة العقيدة ، ويثير لدى الفرد روح الطموح الى المثل العليا ويحببه الترفى فى قوة من شهوة المادية الوضيعة .

وما أحوج العالم فى اضطرابه واصطراعه الى قبس من هذه الشعلة الخالدة يبدد به من حوله الظلمة ويبصره عواقب هذا النضال الوحشى الذى ذهب بالأخضر واليابس والنفس والنفيس ، وألقى بها كلها طعمة لنيران الحقد والانتقام والطمع والهوى .

وأردنا باختيار موضوعات هذا المؤتمر أن نواجه طائفة من مشكلاتنا الاجتماعية التى تأتى فى مقدمة غيرها من المشكلات ليقول الاسلام كلمته فيها ، ويبين وجه الصواب فى علاجها ، وليقرر المبادئ التى يجب أن ترد اليها الحلول وتصفى على ضوئها المعضلات مع رعاية ظروف الزمان والمكان وما استجد فى الحياة من مطالب .

فعالج المؤتمر فى يومه الأول . لروح الإسلامى ، وأصول الأخلاق فى الإسلام ، ووسائله فى مكافحة الآفات الاجتماعية ، وهى تلك الآفات التى تهد من كياننا وتقوض من أركان نهضتنا . وحسبكم بالجهل والمرض والفقر والضعف الخلقى عوامل للانحلال إذا تركت تفتك فى جسم الأمة فى زمان يقتضيها شدة البأس وسعة المعرفة وقوة الروح والشعور بالكرامة ، ويدعونا الى التضحية بالنفس والمال . وحسبكم بتفرق الكلمة والتنابذ بالعرض الزائل والزهو بالباطل فى زمان يقتضينا جمع الكلمة وتوحيد الصفوف والجد والاقدام ووضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار وانكار الذات والعداء فى سبيل مجد الوطن ورفعة الحق .

وعالج المؤتمر فى يومه الثانى : أسس الحكم الصالح ليبرز نظرية الإسلام فى الدعامات التى يجب أن يقوم عليها هذا الحكم لتستقيم به حياة الفرد وحياة الجماعة ولتتحقق به الحرية والمساواة والإخاء ، وقد تبين من عرض هذه الموضوعات كيف سما الإسلام بنوع الحكم وكيف فهم الديمقراطية حق الفهم فرفعها الى مرتبة قصرت عنها مراتب أعرق الأمم الحديثة فيها ، وكيف جعلها ديمقراطية مثمرة تستمد وجودها من روح الشورى والتعاون والتكافل والتوازن الاجتماعى فى أبرز صوره وأسمى معانيه . وأسس الحكم الصالح جديرة أن تكون موضع لعناية ، فبالحكم الصالح تسعد الأمة وتنهض ، وبالحكم الفاسد تشق الأمة وتتخاذل وتتلاشى ، ونوع الحكم هو القضية التى يقوم حولها هذا الصراع الهائل الذى نشهده فى هذا الوقت العصيب . وتناول المؤتمر فى هذا اليوم كذلك مقومات الأسرة ، وأبان عن نوع الرعاية السامية التى حباها الإسلام هذه الخلية الحية من جسم الأمة الحى ، وما وفرها من أسباب النماء والاستقرار ، وما جنبها من عوامل الشقاء والانحلال .

وعالج المؤتمر فى يومه الثالث : نواحى التشريع وكيف وضع الإسلام أساس الحكم وطرائقه ، وكيف حض على احترام العهود وتوثيقها ، وكيف نظم البر ودعا إليه وجعله من أقرب القربات الى الله .

وما أشد حاجتنا — ونحن فى زمان تهيأ فيه الى وضع تشريع يلائمنا ، ونرى نكث العهود وتشعر بروح البر لوجه الله تضعف ، وبعاطفة الخير تتلاشى — إلى كلمة الإسلام فى هذه الشؤون عسى أن يحدث الله من بعد عسر يسرا ، ويرد النفوس إلى رشدها ويقر السلام والصفاء .

وقد بينت لنا بحوث هذا المؤتمر فى يومه الأخير كيف يفسح الاسلام صدره للاجتهاد وينفر من الجمود والتقليد ، وكيف أيدت أحدث نظريات التربية والطب نظرة الإسلام الثاقبة فى تربية الجسم والعقل والخلق والوجدان ، وفى ما حرم من مأكل ومشرب ومتاع صونا للروح والجسد من آفة المرض والانحلال الخلقى كما بينت لنا كيف تزعزع فن الغناء والموسيقى فى ظل الإسلام كمتعة بريئة وأداة لتصفية الذوق وتهذيب النفس وإذكاء الشعور بمنجاة عن الإسفاف والفسوق ولعبث الفارغ ، وتلبية مطالب الشهوات الدنيا .

من هذه البحوث الاجتماعية المستندة الى هدى الإسلام ومبادئه يظهر كيف أقام الاسلام صرح النظام الاجتماعى وكيف حد من حرية الفرد لمصلحة الجماعة ، وكيف وفق بين هذه الحرية وبين المصلحة العامة ، وكيف أقام المصلحة العامة على وضع لا يدعو للافتئات على حرية الفرد وحقوقه بغير مبرر ، وكيف أقام المساواة على دعامات قوية تصون الحريات وتسوى فى التكاليف العامة وتنظم النشاط الإنسانى وتحقق العدل فى أروع صوره ، وكيف وقى الأسرة من العبث والهوى وكيف رفع المرأة إلى أعلى مراتب الكرامة وأحاطها بالصون والعفة وهما مصدر عزتها وكمالها ، وكيف حقق لها المساواة بالرجل كاملة ، وعند ما لم تتحقق هذه المساواة فى بعض صورها كان اختلاف المعاملة وتفاوت الحقوق راجعا الى الرغبة فى قيام التوازن بين الحقوق والواجبات وتحقيق التكافؤ فى احتمال الأعباء وعند ما منح رخصة التعدد والطلاق منحها لضرورة تقتضيها فكرة تكوين أسرة سعيدة صالحة مثمرة وقيدها بما يحتم اتخاذها وسيلة لإرضاء الشهوات والعبث والمضارة .

ومن هذه البحوث التشريعية والدستورية والدولية والتربوية يظهر كذلك إلى أى مدى سمت مبادئ الإسلام بالحكم ودعاماته ، وبالفرد وحقوقه ، وبالدولة وتكاليفها ، وعلى أى أساس من الوفاء بالعهود قامت علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول ، وكيف عنى الإسلام بتوفير السلامة للآمنين فى أرواحهم وكرامتهم ومالهم وذويهم ، وكيف أوصى المسلمين ألا يستصفوا من المال إلا ما هيأ العدو لحربهم ، كما أوصاهم ألا يستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

وهذه البحوث جديرة بأن تنشر على الناس، وأن تفتح الباب لدراسات واسعة يقوم بها المفكرون من رجالنا ليبرزوا للأمة روح الإسلام وتعاليمه وطرائقه الموفقة فى معالجة المشاكل الكبرى فى السياسة والاجتماع والتشريع . وهى جديرة ان تنبه الأذهان إلى عظمة التراث الذى يحويه ماضينا وكفايته لعلاج مشاكل حاضرنا وما قد يتمخض عنه مستقبلنا إذا أحسنا استقراءه والانتفاع به والملاءمة بينه وبين مقتضيات الحياة الكريمة وجديرنا أن نستمد منه العون والهداية فى مواجهة ما يطالعنا من أحداث وما يكتنفنا من مشاكل ، وأن نعتز بهذا التراث النفيس ونفاخر به ونقدم منه للعالم المتمدين عونا يستنقذه من المحن ويرده إلى حياة التواد والتعاون والسلام .

ويجب أن نطبع تشريعنا بهذا الروح وندعمه بهذه المبادئ القويمة النبيلة ليستقيم المعوج من نظمنا، ونقى أنفسنا خطر الزلل والفوضى والتقليد الأعمى والانحلال الخلقى، وليكون التشريع وليد الشعور النبيل والتقاليد الصالحة ومبادئ ديننا الحنيف فى أسمى صورها، فلا نعيش عالة على غيرنا مع وفرة ثروتنا الفكرية والتشريعية ، فنكون كالغنى الذى تضيق جوانب داره عن كنوزه وهو مع ذلك يخرج إلى الطريق يستجدى الناس فضلة ما بين أيديهم مما هو دون ما يكنز من ذخيرة ما

محمد العشماوى